ليلى والمنصور

فتح ثغرة فى السور، قالت الأعرابية: القمة الطرف؛ فلقد طالت جلستى وأنا أراقبك، حدجها بنطرة ارتياب وعقد حاجبيه وأفلت زمام غضبه؛ انشأ يحادث نفسه بصوت عالي: مالى أنا وتربصك ومجلسك؛ وسع الجوبة يا منصور لتمر إلى مداها؟ إطاعة فى صمت، انتبذ مكانا قصيا عن مجلسها وصغارها المشدوهين المسكين بأطراف ملسها حيث نظر إلى الأفق وطرقات المعول تدق أسماعه وبين يديه كوب الشاي، على امتداد البصر بقعة داكنة انتشرت فى السماء لترسم صورة غريبة، تحركها الريح صوب الشمال، لاحقها فى خيال متأملا فى الوقت ذاتة دخان سيجارته، سرعان ما علا صوت منصور يناديه: لقد انتهيت؟ عاد وفى عدة دقائق كان قد فك تلافيف السلك الأبيض الذى غاص وابتلعته الماسورة البلاستيكية، وأنجز باقى مهام توصيل أطباق الاستقبال وسرعان ما غادر المنزل تاركا الصبية يجمعون الأدوات كان ينتوى الذهاب إلى الورشة مرة أخرى، قرر ألا يفعل فاليوم قد تنتهى عند هذا الحد، غاص فى حشود الناس المتوقفة فى تنتظار المترو، بعد المغيب سيحضر من أطراف المدينة الأصدقاء حيث مقر الاجتماع بالتكعيبة يريد أن يكون أول الحاضرين، سرت إشاعة بين مقدمى

الطلبات ان المباحث اكتشفت جثة فى العقار المجاور، نقلوها بين الزبائن وتفاعلت بين أحداث اليوم، الوضع ينذر بالسوء ولن ننتظر أن يصبح خطيرا، مواصلا الكتابة فى هدوء على الرصيف المقابل فى ركن منعزل، يتردد عليه من وقت لآخر أحد الصبية لتغير الأحجار ففى أفضل الظروف لم يكن ليحس به أحد، لفت انتباهه الحروف الثلاثة التى على اللوح المعدنية للسيارة المتوقفة بجانبه، بل التى فى الجراج أمامه، بل تلك المارة الآن، أحيانا تكون الأحرف بلا معني، لكن الثلاثة بمعنى قريب للغاية، هوي، دمر، سفك، كل تلك الحروف تصب حسبا فى قالب الجريمة، نعم مؤكد الجريمة التى اكتشفت هذا الصباح، لابد أن روح المتوفى حاضرة فى المكان الآن، وسط الناس هكذا، أية ناس أنت فى أقصى طرف الشارع إلى جوار خرابة أطلال قصر ما متهالك يوشك على الانهيار، وقد يتحول إلى أنقاض عند حدوث أى هزة خفيفة، النهار يوشك ان ينتهى بل عمليا انت مع موعد على العشاء، مرت سيارة عليها ثلاثة احرف، قتل، أية مصادفة هذة؟ إنتهز فرصة تغير احجار الشيشة وسال الصبى بعد أن منحه إكرامية حتى لا ينساه فى التغيرات: ما تعرفشى الجثة اللى لقوها، ماتت لوحدها ولا لأ؟. رد بلا تردد: مكسور رقبتها يا بيه جثة واحدة ست؟. يا ساتر مؤكد ست وليس رجل؟ نعم إنها سيدة أجنبية بيقولوا إنها مراسلة تلفزيونية من اللى عايشين معانا فى الميدان من أيام الثورة، (معانا وثورة) تمعن فى الصبى هذه المرة بقوة وأعطاه عمر الإعدادية ليس أكثر، بدافع الفضول مد

عنقه إلى سيارة تعبر على مهل، صدمته كلمة (خنق) كان لديه شك أما الآن..... يوشك أن يصدق تلك الخاطرة التى استحوذت عليه ولا سبيل لطردها من تفكيره، سوف يحضر الاصدقاء وسيكون حدث القتل محور الحديث الليلة، خط تصور مبدئى للجريمة، يمكن أن يكون كسر رقبتها السقوط، تزحلقت فى الحمام، وأعاقتها حافة السجادة، سيارة تحمل علامتها كلمة (خطأ)، إذن على علاقة بشخص وفتحت له الباب وقتلها، عند هذا الخيال توقف وانتظر وطال انتظاره عشر دقائق، ثم بدأ فى تسجيل الخاطر مضيفا إليه عدة محاور ألف بهذه الطريقة صفحة كاملة، هل يمضى أم ينتظر، سيارة تعبر على مهل من شارع جانبى وتتوجه ببطء وعلى لوحاتها عبارة (حصل)، انطلق فى رسم الشخصيات وهكذا جائت عبارات (جيد)، (غلط)، (حدث) و عبارات أدق فى صلب القضية، ووصل الأمر إلى تحديد اسم الفاعل، هاله كم الأحجار اللتى دخنها فقد تراصت مكونة سورا صغيرا ممتدا على الرصيف، كم مضى من الزمن، تشير الساعة إلى الثانية عشر، سأل وهو ينوى المغادرة: ألم يحضر أحد الأصدقاء؟. أشار له مكان منزوى فى الجهة المقابلة، تحقق من الوجوة فقد كان عددهم أكبر من المعتاد، معهم حريم ولذلك تركوك فى جلستك مع عفريت المرحومة بل ربما صرفتهم عنك، أو أن المعسل مغموس بهلوسة، تناهى لسمعه مع صفير الليل صوت رتيب لنحيب، كلب يمر يتبعه قط فى اتجاه كومة نفايات عربة الكبدة التى توقفت عند عربة تحمل لوحاتها عبارة (حسن)، كان قد

ابتعد عن مكان جلسته فى طريقه إلى المحطة عله يلحق بمواصلة، تعود أن يسدل الستار على اليوم الذى ينقضي، أخفى فرحة فى ابتسامة صغيرة طفرت على شفتيه وهو ينظر غلى كم الورق الذى ألفه وخطه وكتبه، صوب بعض الجمل واحكم النقاط والتشكيل ورغم أنه أغلق ملف القتيلة، ظل اسم حسن بنفس شكله على اللوحة يتراقص أمام عينيه خيل إليه أنه انتبه أيضا للرقم وربما خدعته ذاكرته وربما فعلا اللوحة هكذا ....(حـ س ن|١٣٧)

خسارة لن يستطيع أن يتأكد كان الطريق يقترب به من منزله فى ترعة المريوطية، يقال إن كثير من الجثث ألقى بها فيها، مكان مشهور على حافة الصحراء الأهرامية، تذكر الأعرابية ساكنة الطرف التى وصل لها الدش هذا الصباح، بدا شكلها غير مريح بالنسبة له، مخيفا أيضا فقد كان لباسها التقليدى يخفى وجهها وعيناها قاسية جامدة، لولا منصور ما ذهب إلى هناك فمكان دارها قرب المقابر فى طريق غير مطروق للبشر تمرح فية الدواب والضوارى ولصوص النور والغجر وأهل الخطر، زادت نقمته عليها حين علم، تريد عمل توصيلات كهرابئية أخرى وحجزت جزء من الأجرة والعدة، ذهب مرغما بعد أن أكد له زوجها إنها لن تتدخل فى عمله ولن تراقبه كا حدث فى السابق؟ مالك حانق وهى لم تفعل شيء سوى الفضول وثقل الظل والغباء؟، سؤال لم يعرف له إجابة، قلبى ينقبض من أعلى كلما أحس بالخطر، استغرق منصور فى الضحك حين سمع عبارته تلك وأردف: خائف منها لإشاعة الناس

إنها عرافة؟. هبط قلبه بسرعة بين قدميه وبان إنزعاجه وفى صوت خرج مترددا: دجالة؟، بنعمل شغل عند شياطين؟.. أنا راجع الورشة ومش عايز عدة ولا فلوس، أقنعه بأنها إشاعة وحتى لو كان، كيف تفوت فرصة لإشباع هوايتك فى الحواديت، العفاريت لا تظهر فى النهار، بخطى ثابتة اجتاز بوابة العمارة يعلم الآن أنها تمتلك وتتحكم بعدة بيوت، أشار منصور إلى مقبرة أنيقة ليست ببعيدة عن التميز؛ تلك مرقد عائلتها قد جددتها تريد بعض الكهرباء فيه، أعلن رفضه أمامها: لن أعمل فى القبور إذا أردت أى شىء آخر فى المنزل أنا مستعد.

كان يتكلم بشىء من الاحتراس هذه المرة، عيناها الجامدتان كانتا أكثر ألفة وصوتها نافذ إلى الوتر الحساس فى أعصابه، إنشغل بلا ضغط فى العمل، لاحظ بطرف خفى أن منصور يناديها باسمها مجردا، رفض الشراب أو طعام وحين انتهى ناولته الأجرة التى طلب وأعطت منصور إكرامية أكبر من أجرته، ثم قالت له : حسن هو القاتل والرقم تأكيد، اصفر لونه وتلعثم، قال فى نفسه إنها ترهبك وتمارس خدعة ما، فسرت لعثمته كما تشاء وقالت: تسأل كيف عرفت؟. إنه مكتوب فى أوراقك، تنبه إنه أحضر معه حقيبته الورقية بكامل أقاصيصها البدائية، فقد كان ينتوى الرحيل إلى وسط البلد بعد العمل مباشرة، اجتاحه غضب صاعد من عتمة الخوف واختار عبارات قاسية ولكن هادئة التعبير عن احتجاجه من تصرفها، أشارت إلى منصور قائلة: صديقك من أطلعنى على هذا

وإن كنت لا تعلم إنه ابن أخى وأخى فى الرضاعة فأنا لا أحب أن يعمل لى أحد بلا أجر. لانت قساماته وأصبح وديعا إلى الحد الذى تناول معه كوب العصير، نطق الحروف الأولى بتردد: ماذا تريدين يا مدام ليلى؟. أجلست منصور إلى جواره وفى مقابله جلست وحدقت من وراء نقابها: قلى يا حسن لماذا قتلتها، ما الذى دفعك لفعل ذلك بالله عليك؟. اصفر وجهه إلى حد مخيف وأصبح يحاكى الموتي، هرب اللعاب من لسانه واحتاج لأكثر من كوب العصير، نطق بهلع حقيقى : كيف عرفتي، من أنبئك إنى القاتل؟، البارحة فقط اكتشفوا جثتها، نعم قتلتها من قبل ذلك، سقط من حالق، علق فى شباك مرضي، كانت تحمل معها جرثومته وفى البدء كان الحذر يسبق الخدر ليس عندهم عيب أو حرام، إنه الغرام ذلك الشر المحموم بالهوى.يحرق الفؤاد، نعم كنت أعلم بأنها تعيش اللحظة بلا رابط، جسدها له احتياجاته، كانت ميتة بلا أمل وبلا علاج، مميا ء محنطة خرجت من القبر كمصاص دماء، أعلم سرها وأخذ احتياطاتى، لكن غيرى يمضى ناشرا نقصها فى من حولة. أسكتة منصور بكلمة: صعب إنك تبرر شيء صعب التبرير؟ أشارت إليه ليلى أن يصمت: أكمل يا حسن..، كيف فعلتها ولما لم تبدى مقاومة؟... طننتنى أحاول .. كانت لحظة وليدة وقتها تماما؟.. شعرت بها تحت ضغط يدى وقد امتلأ بعنقها، لم تقاوم أو تتبرم أو تصرخ، استسلمت، هكذا وجب أن تموت كل إمرؤ يقتل الشيء الذى أحب، لقد انهار... فكرة داعبت خيالي... فى أعماقها تريد

ذلك... مرض بلا علاج، بلا أمل تعيش من أجله، الالم كل يوم وساعة ودقيقة، لا تقوى على الانتحار...قدمت إليها خدمة مثل تلك الخدمات الجسدية التى اعتدت تقديمها، لكنى لا أريد أن أبقى هكذا يتسرب إلى الخوف والظنون.. القلق، نعم إنها هلوسة.. أنا لم أقتل، لا يمكن أن أفعلها، ماذا وضعت لى فى الشراب، صرخ وانفعل سيطر عليه منصور بصعوبة، ساعدته ليلى بإعطائه مهدئات، قالت وهو يسقط فى بئر الغيبوبة : انظر لقد وضح كل شىء إنه أنت من يسكن فى العقار ١٣٧، ساعده صوتها الحازم على سنة النوم وقد كان على شفا الجنون.